سيكولوجية التطير

بقلم

نجيب يوسف بدوى

المدرس بطنطا الثانوية الحديثة

للمهنة دخل كبير فى القابلية للتطير . وأينما وجدت عناصر المصادفة والحظ كان احتمال القابلية للتطير كبيرا . لذلك يأتى فى مقدمة المتطيرين ، المقامرون والصيادون والمحاربون .

والجندى فى الميدان يحمل قلبه بين يديه . وللحظ والمصادفة فى رسالته دخل كبير ، فرصاصة طائشة قد تؤدى بحياته ، وحركة شاردة قد تكون فيها منجاته .

ومن مظاهر التطير حمل التعاويذ . وكثيراً ما سمعنا فى قصص الحرب الماضية عن التعاويذ التى يحملها رجال سلاح الطيران معهم لا يفارقونها ولا تفارقهم لاعتقادهم أنها تجلب لهم الحظ . وقد تكون هذه التعويذة حدوة فرس ذهبية صغيرة أو خاتما أو تمثالا دقيقا أو قلادة أو نحو ذلك .

وفيما يلى سنتناول بالبحث ناحيتين :

أولا : تفسير فرويد للتطير[1].

ثانيا : علاقة التطير بالشخصية .

أولا : يعرف فرويد الشخص المتطير بأنه من يتخذ من الأحداث الخارجية علامات يضفى عليها مغزى ومعنى ، ويتخذ منها بشائر خير يتفاءل بها أو نذائر سوء يتشاءم منها — كعادة العرب فى زجر الطير ، وكالنذائر التى يرويها لنا التاريخ.

يرى فرويد أنه طالما لا توجد علاقة بين الشخص المتطير والحادث الخارجى (النذير) ، تكون المسألة مصادفة لا أكثر .

ولكن الحالة تختلف تماما عند ما يصدر عن الشخص أفعال عشوائية أو أخطاء

(1) "Psychopathology of Everyday Life", S. Freud. Pelican, PP. 193—197

غير مقصودة . هذه لا يعتبرها فرويد مصادفة بل أن لها دلالة ، أنها أفعال الدافع إليها لاشعورى تحتاج إلى تفسير .

وعلى ذلك يختلف فرويد عن الشخص المتطير فيما يأتى :

إنه لا يؤمن بأن أى حادث خارجى لا يشترك فيه ذهنه يعلمه أى شىء عما يخبئه له القدر فى المستقبل . ولكنه يعتقد أن أى حادث عشوائى أو خطأ غير مقصود صدر عنه لا بد وأن يحتوى على شىء مخبأ فى نفسه ينتمى إلى حياته العقلية وحدها .

فهو يعتبر حقيقة المصادفة فى الأشياء الخارجية — ولكنه لا يعتبرها فى الأشياء الداخلية (النفسية) . أما مع الشخص المتطير فالحالة على عكس ذلك : إنه لا يعلم شيئا عن دوافع الحوادث العشوائية ومع هذا يميل إلى أن يضفى على حوادث المصادفة الخارجية معان . ويرى فى حوادث المصادفة المحضة الخارجية وسائل للتعبير عن أشياء مخبأة خارجة عن ذاته (أى غيبية) . فيوجد حينئذ وجهان للخلاف بين فرويد والشخص المتطير :

أولا : المتطير يفسر الدافع على أنه من الخارج ، بينما ينظر فرويد إلى الدافع فى نفسه .

ثانيا : المتطير يفسر الحادث بالمصادفة accident بأنه واقعة evedt بينما يرجعه فرويد إلى فكرة . وما يعتبره المتطير مخيفا يقابله عند فرويد اللاشعور .

ونظراً لأن الشخص المتطير لا يعرف شيئا عن دوافع الأفعال العشوائية والأخطاء غير المقصودة التى تصدر عنه ، ونظراً لضرورة تعرفه هذه الدوافع ، فإنه يضطر إلى التخلص منها بأن ينسبها إلى العالم الخارجى . مع أن الدافع إلى هذه الأفعال لاشعورى إنها نتيجة لوجود نزعات وميول ورغبات كبتت فى اللاشعورى لأنها لا تتفق مع آداب المجتمع وتقاليده ولكنها لم تخمد ولم تفقد القدرة على الظهور بل ظلت حية تتحين الفرصة للإفلات من الرقيب والإفصاح عن نفسها فى الأعمال العشوائية والسهو والخطأ .

يذكر فرويد أن التطير كان له ما يبرره فى العصور القديمة وكان متفقا ومتمشيا مع الحالة العقلية التى كانت سائدة وقتئذ . أما الآن فلا محل له فى المجتمع الحديث بعد كل هذا التقدم فى العلوم . فسلوك الرجل الرومانى الذى رأى سربا من الطير فاتخذه نذير سوء وتشاءم منه — له ما يبرره نسبيا لأنه يتفق مع الحالة العقلية التى كانت سائدة وقتئذ . ولكن لو أن هذا الرجل الرومانى عدل عن مشروع لأن قدمه

قد ارتطمت سهوا بعتبة الباب فإنه يكون أفضل منا نحن التحليليين ، لأن زلة قدمه تدل على وجود شك وتيار مضاد أضعف من قوة عزيمته وقت التنفيذ . فلضمان النكاح ينبغى حشد كل القوى النفسية وتركيزها على الهدف المرغوب .

من دراسة فرويد للدوافع النفسية المختفية بواسطة التحليل النفسى اتضحت له الدوافع اللاشعورية التى تظهر فى التطير : « إن التطير منشأه الدوافع العدائية القاسية المكبوتة ، فالجزء الأكبر من التطير ينم عن الخوف من شر مستطير . ومن يتمنى الشر لغيره ، ولكنه يضطر إلى كبت هذه النزعة الشريرة فى اللاشعو نتيجة لحسن تربيته ، فإنه يتوقع العقاب على هذا الشر المكبوت ، عقابا يأتيه على شكل شرونحس يتهدده من الخارج » .

فى هذا التفسير يتناول فرويد ناحية التشاؤم . إلا أن للتطير — كما هو معروف — ناحيتين : علامات للسعد وعلامات للنخس . ويتفاءل المتطير بالأولى ويتشاءم من الثانية . يتبقى إذن ناحية التفاؤل أى عند ما يتخذ الشخص المتطير بشائر للخير يتفاءل بها فهل يمكن — قياسا على تفسير فرويد — أن نقول إن التفاءل شيمة من يتمنى الخير للغير . وأن من أحب لغيره ما يحب لنفسه توقع أن يرتد إليه الخير فيستبشر به ويتفاءل له ؟

ثانيا : علاقة التطير بالشخصية :

إذا صح ذلك فإنه قد يكون من الممكن إضافة التطير إلى الصفات المزاجية والخلقية التى تميز الشخصية .

وتفسير فرويد السالف الذكر ينصب على المرضى بأمراض عصابية وهم عينة منتقاة لا تمثل المجموع . ومن الخطأ تقسيم الناس على أساس ما لوحظ على هذه الفئة .

ولو أمكن حينئذ الوصول إلى طريقة لقياس التطير — باختبار أو استفتاء ، يضم إلى اختبارات فى النواحى الأخرى — لأمكن مثلا أن يضاف التفاؤل إلى العامل الخلقى الذى كشف عنه وب Webb . أو إضافة بند جديد إلى القوائم التى قام بوضعها يونج Jung ، كاتل Cattel للصفات المزاجية التى تميز الشخصية : كأن يقال إن الأنبساطى أميل إلى التفاؤل وإن الإنطوائى أميل إلى التشاؤم . وكما أنه لا يمكن القول بذلك ما لم نصل إلى طريقة لقياس التطير ، فكذلك تقع البينة على من يدعى عكس ذلك ،

فأمامنا إذن حدث خارجى هو النذير أو البشير من ناحية ، واستعداداً لتفسيره بحسب الصفات المزاجية والخلقية ونوع الشخصية من ناحية أخرى (فالبعض يتفاءل من رقم ١٣ والبعض الآخر يتشاءم منه — ويتفاءل البعض من الهرة السوداء ويتشاءم البعض الآخر منها — كما لا يخفى أن كثيرين لا يبالون ولا يكترثون ولا يقيمون لهذه العلامات وزناً) . يضاف إلى ذلك أن للمهنة والسن والخبرة دخل كبير فى القابلية للتطير . وهذه كلها بعض الاعتبارات التى ينبغى أن تؤخذ فى الحسبان عند عمل الاختبار أو الاستفتاء المشار إليه . كما يشترط أن تؤخذ مادته من البيئة والمعتقدات المصرية .

أخيراً إذا كان المريض بمرض عصابى إذا تطير تشاءم (كما يتضح من تفسير فرويد) ، فهل من غرابة إذا أضفنا التفاؤل إلى الحالات السوية ؟ وهل يحق لنا القول بأن المكتمل الشخصية هو إما من لا يكترث ولا يتطير أو أنه هو من يميل إلى التفاؤل ؟ .... والمجال مفتوح لمناقشة هذا الرأى — إذا صح أنه رأى — وإلا فليكن استفساراً وسؤالا .

نجيب يوسف بدوى